

# قصة امرأة وُلدت من رحم الحرب مرتين

## بطاقة تعريف:

- الاسم المستعار: الفراشة الضائعة
- العمر التقريبي: أواخر العشرينات
- الحالة الاجتماعية: أرملة
- عدد الأبناء: ثلاثة
- المنطقة العامة: وسط قطاع غزة
- تاريخ المقابلة: شتاء ٢٠٢٦

شاء القضاء أن أصبحت أرملة وأنا في سنٍ صغير، وشاء القدر أن يصبح أطفالي أيتامًا بينما كانت في أحشائي طفلة لم ترَ أباه قط. لم أكن أتخيل يومًا أن حياتي يمكن أن تتقلب بهذه السرعة، ولا أنني سأجد نفسي مضطرة لأن أبدأ من جديد من بين الركام. كنت أظن أن الحياة تمضي ببطء كما اعتدنا، لكن الحرب قادرة في لحظة واحدة على أن تغيّر كل شيء.

قبل الحرب كانت حياتي بسيطة، لكنها بالنسبة لي كانت حياة كاملة. كنا أسرة صغيرة مترابطة، نعيش في بيت متواضع لكنه مليء بالمحبة. لم يكن في حياتنا شيء استثنائي، لكن دفء العائلة كان يكفي ليحفظ الأيام جميلة. وجود زوجي في المنزل كان يمنح المكان روحًا مختلفة. مجرد صوته وهو يدخل البيت، أو حديثه مع الأطفال، أو ضحكته التي تملأ الغرفة، كانت تفاصيل صغيرة لكنها كانت تعني لي العالم كله.

كنت أشعر بالأمان حين يكون في البيت. كان يشاركنا كل شيء: الطعام، الحديث، الضحك، وحتى لحظات التعب. لم يكن مجرد زوج، بل كان السند الذي تتكئ عليه حياتي كلها. واليوم حين أستعيد تلك الأيام أشعر بندم صامت؛ كأنني كنت أتمنى لو أنني عشت تلك اللحظات ببطء أكثر، لو احتفظت بكل تفصيل فيها، لو أدركت أن هذه الأيام قد تختفي فجأة.

في اليوم الأول من الحرب شعرت أن حياتي انقسمت إلى نصفين. منذ الساعة الأولى تغير كل شيء. السماء التي كنا نراها كل يوم تحولت فجأة إلى مصدر دائم للصوت والرعب. أنا بطبيعتي إنسانة تخاف كثيرًا من القصف ومن أصوات الصواريخ، لكن في تلك اللحظات حدث شيء غريب داخلي.

خرج زوجي إلى رأس الشارع يراقب الصواريخ في السماء، فخرجت خلفه دون تردد. كنت أتبعه أينما ذهب، أقف إلى جواره وأنظر إلى السماء كما ينظر. كان يشير إلى الصواريخ ويقول لي وهو يضحك:

"شوفي... شوفتي الصاروخ؟"

ثم يلتفت إليّ ويقول:

"والله قلبك صار قوي... صرت جريئة".

كنت أضحك معه وأستغرب نفسي. كيف أقف هناك وأرى الصواريخ ولا أخاف كما كنت أفعل دائمًا؟ كنت أشعر بقوة غريبة وأنا بجانبه. لكنني أدركت لاحقًا أن تلك اللحظات كانت شيئًا آخر؛ ربما كانت لحظات وداع لم تكن ندركها.

في تلك الدقائق أوصى أختي عليّ، وأوصى أبي أن يهتم بي. لم أفهم عمق كلماته في تلك اللحظة. كنت أظن أننا سنعود إلى البيت بعد قليل كما في كل مرة. لم يخطر ببالي أن تلك اللحظات ستكون آخر ما يجمعني به.

بعد نحو ساعة فقط وصلنا خبر استشهاده.

كنت في الشهر الثامن من الحمل. حين سمعت الخبر شعرت أن الأرض فقدت توازنها تحت قدمي. خرجت إلى الشارع كالمجنونة، أركض وأسأل الناس. بعضهم قال إنه مصاب، وبعضهم قال جريح، وبعضهم لا يعرف. كنت أتشبث بأي احتمال يفيي الخبر. لم أكن أصدق أن حياتي يمكن أن تتحول بهذه السرعة إلى هذا الظلام.

لكن الحقيقة كانت أقسى من كل شيء.

لم أفقد زوجًا فقط، بل فقدت السند الذي كان يشاركني كل تفاصيل الحياة. كان موجودًا في كل شيء: في البيت، في خروجنا وعودتنا، في طعامنا وضحكاتنا. كان

يشاركني أبسط الأمور وأكبرها. حين رحل شعرت أن البيت نفسه فقد معناه، وأن الذكريات التي كانت تملأه اختفت معه.

بعد أربعين يومًا من استشهاده وضعت طفلتي. جاءت إلى الدنيا يتيمة، لم ترَ وجه أبيها ولم تسمع صوته. حين نظرت إليها للمرة الأولى شعرت أن الألم والحياة اجتمعا في لحظة واحدة. كانت تحمل ملامحه، وكأن الله ترك لي جزءًا منه في هذه الطفلة. في زمنٍ كانت السماء تمطر نارًا بدل الغيث، كان لي زوج لم يكن مجرد شريك حياة، بل كان الوطن حين يضيق، وكان السند حين تميل الدنيا. رحل شهيدًا، فغاب معه صوته وضحكته وأمان الأيام. غاب وجهه عن عيني، لكن صورته بقيت محفورة في قلبي كآية لا تُنسى.

وبين دويّ القصف وصمت الفقد، ولدتُ ابنتي. وُلدت بعد استشهادها، كأنها رسالة من الله أن الحياة رغم كل شيء لا تنتفي. لم ترَ وجه أبيها، ولم تمسك يده، ولم تعرف معنى أن يرفعها على كتفيه، لكنها تحمل في اسمها نبضه، وفي ملامحها بقاياها. صرنا جميعًا أيتامًا من بعده... أطفالٍ وقلبي معهم. أيتام سند، أيتام ضحكة، أيتام دفة كان يشبه الوطن.

مرّت الأيام ثقيلة، والشهور كأنها أعوام. القلب يتمزق بصمت، والحياة صارت أكثر قسوة. بلا مأوى ثابت، بلا حبيب، بلا سند أستند إليه حين تتعب روحي. نزحت من مكان إلى مكان، أحمل أطفالٍ في يدي وجرحي في صدري، وأنتقل بين الخيام والجدران الباردة، والكسر يكبر وأنياب القهر تحاول أن تنهش صبري.

لكنني كلما أوشكت أن أنهار، تذكرت أن كل أمر المؤمن خير، وأن الله لا يضيع قلبًا صابرًا. أنا أم أنهكها الفقد، لكنها لم تنكسر. أم تحارب لأجل أن يعيش أطفالها حياة كريمة، أن يكون لهم مستقبل لا يشبه رماد الحرب، بل يشبه الضوء الذي أراه في عيونهم.

أحلم لأطفالٍ بمدرسة آمنة، ببيت دافئ، بأيام لا يوقظهم فيها صوت القصف، بل صوت الحياة.

رحل رفيق دربي شهيداً، لكنني أقسمت أن أكمل الطريق. أن أكون لهم الأب حين يغيب، والأم حين يشند الحنين، والسند حين يتعبون.

هذه ليست قصة حزن فقط... هذه قصة امرأة تقف في وجه الحرب بقلب مكسور، لكنه ما زال ينبض بالإيمان.

لكن الألم لم يتوقف عند حدود الفقد. حين بدأت طفلي تكبر قليلاً راحت تسأل عن أبيها. كانت ترى أي رجل وتناديه "بابا". كانت تلك اللحظات من أصعب اللحظات التي عشتها. كنت أشعر بالعجز الكامل؛ كيف أشرح لطفلة صغيرة أن أباه لن يعود؟ كيف أشرح لها معنى الغياب؟

الحرب لم تأخذ زوجي فقط، بل أخذت أيضاً جزءاً من طفولة أطفالي. لقد أثرت الحرب فيهم كثيراً، وخاصة ابني الذي تغير كثيراً بعد كل ما رآه وعاشه.

بعد فترة قصيرة من ولادة طفلي دخلت القوات الإسرائيلية إلى المنطقة التي كنا فيها. كان القصف كثيفاً، والأحزمة النارية تشتعل من حولنا. كنت ما زلت في مرحلة التعافي بعد الولادة، ومعى ثلاثة أطفال، أحدهم رضيع وآخر مريض. لم يكن أمامي خيار.

قررت أن أخرج وحدي.

لم يكن معى مال ولا طعام ولا وسيلة تواصل. لم يكن معى شيء سوى أطفالي. قبل أن أغادر احتضنتني أمي بقوة ودعت لي دعاءً لا أنساه:

"الله يبسرّ طريقك ويوقف لك أولاد الحلال، ويبعد عنك أولاد الحرام".

كنت أشعر أن هذا الدعاء يسير معى ويحمي خطواتي.

خرجت أسير على قدمي مع أطفالي تحت القصف، وقد مضى على ولادتي شهر واحد فقط. كنت ضعيفة جسدياً ومتعبة نفسياً، لكنني كنت مضطرة للاستمرار.

وصلت إلى منطقة شرق دير البلح، إلى مدرسة تحولت إلى مركز إيواء. لم يكن معى شيء تقريباً. حتى الحليب جف في صدري بعد أيام من الولادة بسبب الحزن وسوء التغذية. كانت علبة الحليب في تلك الأيام تصل إلى مئة دولار، والبايمبرز إلى مئتين أو ثلاثمئة شيكل. لم أكن أملك شيئاً.

جاءت لحظات اضطرت فيها إلى إعطاء طفلي الماء بدل الحليب. كانت لحظات شعرت فيها بالعجز الكامل، وكان الحياة تختبر قدرتي على التحمل إلى أقصى حد. في مركز الإيواء تم إدراج اسمي ضمن قائمة الأرامل. كانت تلك أول مرة أسمع الكلمة موجّهة إليّ رسمياً: "أرملة". شعرت أن الكلمة أثقل من قدرتي على حملها. في تلك اللحظة أدركت أن حياتي دخلت مرحلة جديدة، وأن المجتمع بدأ ينظر إليّ بصفة واحدة تختصر كل شيء.

لم تكن التحديات مادية فقط. في إحدى المرات جاء أحد أعمام أبنائي إلى المدرسة ليأخذهم مني، وتطور الأمر حتى تعرضت للضرب. وقفت أُمي أمامه وقالت: "طول ما أنا عابشة، ما حدا بيمد إيده على بنتي".

منذ ذلك اليوم وأنا أحاول أن أحافظ على حقي في تربية أطفالي وأن أبقى قوية من أجلهم.

اليوم أعيش تحدياً آخر لا يقل صعوبة: نظرة المجتمع. كوني امرأة شابة أرملة في مجتمع محافظ يجعل كل حركة محسوبة. خروجي، حديثي، تعاملتي مع الآخرين، حتى لو كان من أجل مصلحة أطفالي، قد يصبح موضع اتهام أو سوء فهم. أحياناً أشعر أن المجتمع يحمّلي عبئين في آن واحد: عبء تربية أطفالي وحدي، وعبء الدفاع عن سمعتي في وجه الظنون.

ومع ذلك، ما زلت أحاول أن أقف. نعم، أشعر بالألم والقهر، لكنني أستمد قوتي من أطفالي. هم السبب الوحيد الذي يجعلني أستمر في الحياة. أريد لهم مستقبلاً أفضل، حياة لا تشبه رماد الحرب، بل تشبه الضوء الذي أراه في عيونهم حين يبتسمون.

رسالتي للناس بسيطة:

ارحموا الأرملة.

المرأة الأرملة لم تختَر قدرها. هي تحتاج إلى الدعم والمساندة، حتى ولو بكلمة طيبة. لا تحملوها عبئين؛ عبء تربية أطفالها، وعبء مواجهة كلام الناس. هذه ليست قصة حزن فقط.

إنها قصة امرأة انكسر قلبها، لكنها ما زالت تقف.

امرأة تحاول كل يوم أن تختار الحياة من جديد، من أجل أطفالها، ومن أجل الأمل  
الذي ما زال يعيش في قلبها.